اقلاق راحة زعامة أمريكا . وربما ساعد الانفراج على تغطية موقف مواجهة ، لكنه لم يتطور اطلاقا الى شراكة في البحث عن نظام عالمي متزن . ان تصريح كيسنجر في نيسان (ابريل) ١٩٧٤ ، يعطي فكرة مركزية عن الانفراج :

«ان الانفراج بالنسبة لنا هو عملية ادارة العلاقات مع دولة ذات قابلية عدوانية من أجل الحفاظ على السلام ، مع المحافظة على مصالحنا الحيوية في آن » .

ضرورات التكيف

رغم أن الانفراج لم يتطور اطلاقا ليصبح جهدا مشتركا صالحا لتحقيق الاستقرار ، الا انه جاء ردا على حاجات ملحة لدى القوى الكبرى . وكانت الفكرة السائدة عن الانفراج في الدوائر الاكاديمية الامريكية هي ان الحاجة السوفياتية الى التكنولوجيا والقمح والاموال الامريكية قد فرضتها . كما عجل في حدوثها الصراع الصيني السوفياتي ، والتقارب الصيني الامريكي هو نتيجة لذلك . كما كان نمو القومية في اوروبا الشرقية يقدم كسبب ثالث دفع الى تحريك السياسة السوفياتية الخارجية باتجاه الانفراج مع الولايات المتحدة . وأدرك الاكاديميون أنفسهم حاجة الولايات المتحدة الى المساعدة السوفياتية في الهند الصينية والشرق الاوسط . وبالتالي فان العلاقة غير متماثلة ، ويبدو فيها الاتحاد السوفياتي اكثر تلهفا على التكيف . ان هذا تحليل فعال في التبسيط ، يتجاهل ازمة الامبريالية ، وأهمية التغير الاجتماعي .

صحيح ان النزاع الصيني ـ السوفياتي ، والتجارة ، والتكنولوجيا ، لعبت دورا بارزا في تطوير الانفراج من المنظور السوفياتي ، الا ان لدى الولايات المتحدة أسبابا أكثر الحاحا تدفعها الى البحث عن التكيف مع الاتحاد السوفياتي . فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية كانت الولايات المتحدة مسيطرة على الهيكل الاقتصادي الاعلى : القدرة على الانتاج والاستغلال والتوزيع ، وعلى القدرة الاستراتيجية على فرض ارادتها ، سواء داخل الحدود الدولية او عبرها ـ تدريب الشرطة ، والاسلحة ، تكنيك المراقبة وتكنولوجية الاسلحة ، وادارة الثقافة ، أي نشر المعلومات والافكار بواسطة وسائل الاعلام المتعددة . كما كانت الولايات المتحدة ايضا مصرفا مركزيا وشرطيا دوليا .

وبوجود كل هذه القوى بتصرفها ، لعبت الولايات المتحدة دور الحارس على المصالح الغربية في جميع انحاء العالم ، وبقيت قوتها دون أن تجد من ينافسها . لقد ردت بعنف على تأميم الموارد التي كانت الشركات الغربية تستغلها ، ونظمت وكالة الاستخبارات المركزية انقلابات ضد من يحتمل ان يشكلوا تحديا للسيادة الامريكية . وكانت الولايات المتحدة تستطيع ان تفرض النظام على حلفائها وزبائنها ، بأن تهدد بقطع الاسلحة ، او المال ، او السلع الصناعية . وكان على العالم الغربي ابقاء الاحزاب الشيوعية خارج السلطة ، والامتناع عن اقامة علاقات طبيعية مع جمهورية الصين الشعبية ، والتقيد بالحظر الامريكي على بيع السلع الى كوبا ، كما كان على العالم الثالث ان يمتنع عن تأميم ممتلكات الشركات الكبرى متعددة الجنسيات او الممتلكات التي تديرها هذه الشركات .

ووصلت الامبراطورية اعلى قمة في وسط الستينات ، لكنها بدأت تظهر دلائل ضعف تحت